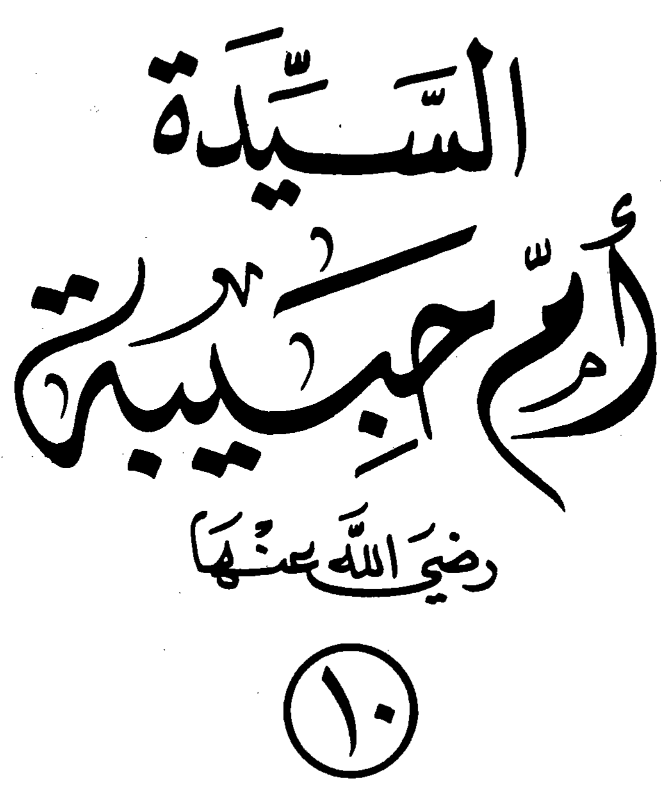
سلسلة أمهات المؤمنين
والدعوة إلى الله
١ / ١١



السيدة أم حبيبة رضي الله عنها

١٠

أبو أحمد
د. خالد بن محمد الحافظ العلمي



ح مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العلمي ، خالد بن محمد

ام حبيبة رضي الله عنها / خالد بن محمد العلمي

المدينة المنورة ، ١٤٢٤ هـ

٥٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم (سلسلة أمهات المؤمنين والدعوة إلى الله ، ١٠)

ردمك : ٦ - ٨ - ٩٤٤٧ - ٩٩٦٠

١ - أم حبيبة ، رملة بنت أبي سفيان ٢ - زوجات النبي

أ - العنوان ب - السلسلة

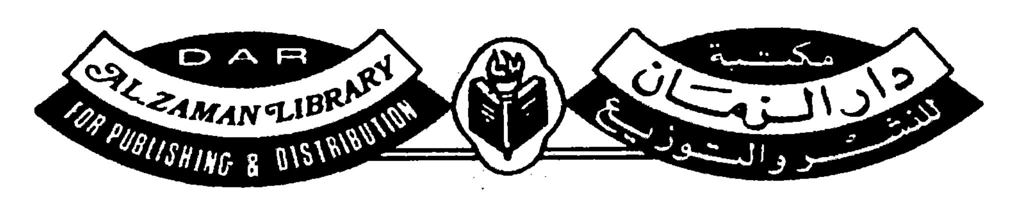
ديوي: ٢٣٩،٧ ٣٨٤٨ / ١٤٢٤

رقم الإيداع : ٣٨٤٨/ ١٤٢٤

ردمــــــك : ٦ - ٨ - ٩٤٤٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الاولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب ١٥٥٦

هاتف ٨٣٦٦٦٦٦ فاكس ٨٣٨٣٢٢٦

المملكة العربية السعودية

Medina Monawara - Al-Sittin Road - P.O. Box. 1556

TEL: 8366666 - FAX: 8383226

Kingdom of Saudi Arabia

السَّيِّدة

أُمّ حَبِيبَة

رضيَ اللهُ عنها



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(1).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(2)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾(3).

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى فتح الله

---

(1) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(2) سورة النساء، الآية (١).

(3) سورة الأحزاب، الآيات (٧٠-٧١).

به قلوباً غلفاً، وأعينا عمياً، وآذاناً صماً، وعلى آله وصحبه الذين تولوا أمانة البلاغ من بعده، أما بعد:

فهذا هو الكتاب العاشر الذي أقدمه ضمن سلسلة أمهات المؤمنين والدعوة إلى الله، وهو لأم المؤمنين السيدة الفاضلة **أم حبيبة** -رضي الله عنها- ابنة عم الرسول ﷺ.

وصفها الذهبي -رحمه الله- في سيره بقوله: (السيدة المحجبة رملة بنت أبي سفيان...وهي من بنات عم الرسول ﷺ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها)[1].

لقد من الله على **أم حبيبة** -رضي الله عنها- بمناقب لم تكن لغيرها، فقد كانت من السابقين إلى الإسلام، وفي طليعة المهاجرين من أجل الدين، ونالها من البلاء ما لو نزل بغيرها لتضعضعت أركانه وتزحزح عن عقيدته، ذلك هو ارتداد زوجها عن الإسلام في أرض الحبشة، ومع ذلك فقد ضربت أروع الأمثلة في الصبر على البلاء والثبات على الإسلام، إلى غير ذلك من الفضائل والمناقب التي يجمل الحديث عنها في حينها.

هذا وقد جاء البحث في أربعة فصول على النحو التالي:

١- الفصل الأول:

التعريف بأم المؤمنين **أم حبيبة** وبيان فضلها -رضي الله عنها-.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٨، ٢١٩).

٢- الفصل الثاني:

أثر مناهج الدعوة في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-.

٣- الفصل الثالث:

أساليب الدعوة في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-.

٤- الفصل الرابع:

وسائل الدعوة في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-.

ثم جاءت الخاتمة، وذكر المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحْبِه وسلَّمَ.

الفصل الأول

التعريف بأم المؤمنين أم حبيبة وبيان فضلها رضي الله عنها

١- اسمها ونسبها:

هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمها: صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، عمة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-(١).

وهي من بنات عم الرسول ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها(٢).

٢- زواجها -رضي الله عنها-:

كانت قبل رسول الله ﷺ عند عبيد الله بن جحش، وولدت له حبيبة، وبها كانت تكنى، وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم تنصر هنالك،

---

(١) الطبقات لابن سعد (٩٦/٨). ومنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة ص٥٧. وسيرة ابن هشام (٣٢٣/٤). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٢-٣٣. وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة، ص٦٤. والسمط الثمين للطبري، ص١٤٩. والاستيعاب لابن عبد البر (١٩٢٩/٤). والإصابة لابن حجر (٦٥١/٧). وسير أعلام النبلاء (٢١٨/٢). والبداية والنهاية (١٤٥/٤). وأخرج الحاكم في المستدرك عن مصعب بن عبد الله الزبيري بأن لها اسمين ونصه: "قال أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب اسمها رملة بنت أبي سفيان، ويقال اسمها هند، والمشهور رملة". المستدرك (٢٠/٤). وذكره كذلك ابن حزم في جوامع السيرة ص٣٥. والصحيح المشهور هو رملة، وبه قال الأكثرون.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٩/٢).

ومات عنها على النصرانية. وبقيت أم حبيبة -رضي الله عنها- على دين الإسلام[1]. وأبى الله عزَّ وجلَّ لأم حبيبة إلا أن تُنْصَرَ، فأتم الله تعالى لها الإسلام والهجرة.

وكان الذي زوَّجها، وخطب إليه النجاشي: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، فكان لها يوم قدم بها المدينة بضع وثلاثون سنة[2].

وعنها -رضي الله عنها- أنها كانت تحت عبيد الله، وأن رسول الله تزوجها بالحبشة، زوَّجها إياه النجاشي، وأمهرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شرحبيل ابن حسنة، وجهازها كله من عند النجاشي[3].

وأخرج الحاكم عن إسماعيل بن عمرو بن سعد بن العاص قال: قالت **أم حبيبة**: رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوإ صورة وأشوهه[4]، ففزعت فقلت: تغيرت -والله- حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا **أم حبيبة**، إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دنت بها[5]، ثم دخلت في دين محمد، ثم رجعت إلى النصرانية، فقلت:

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٩٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه أبوداود في النكاح، باب: الصداق، حديث رقم: (٢١٠٧) (٢/ ٢٣٥). قال أبوداود: «حسنة هي أمه» أي أم شرحبيل رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني كما في طبعة بيت الأفكار الدولية، (ص٢٤٠). وأخرجه النسائي في النكاح (٦/ ١١٩)، باب: القسط في الأصدقة، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٤٢٧).

(٤) أشوهه: أقبحه.

(٥) وذلك في الجاهلية.

والله ما خير لك[1]! وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها[2]، وأكبَّ على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأن آتياً يقول لي: يا أم المؤمنين، ففزعت وأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني، قال: فما هو إلا أن انقضت عدتي، فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت علي، فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجك، فقلت: بشرك الله بخير، وقالت: يقول لك الملك: وكّلي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص، فوكلته، وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين[3] كانتا في رجليها وخواتيم من فضة كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشرتها به، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. أما بعد فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه **أم حبيبة بنت أبي سفيان**، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

---

(١) وفي طبقات ابن سعد: والله ما هو خير لك. (٨/٩٧).

(٢) لم يبال بها.

(٣) خدمتان: خلخالان. المعجم الوسيط (١/٢٢١).

كله ولو كره المشركون. أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وَزَوَّجته **أم حبيبة بنت أبي سفيان**، فبارك الله لرسوله، ودفع[1] الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا، فإن سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا تزوجوا أن يؤكل الطعام على التزويج، فدعا بطعام، فأكلوا ثم تفرقوا، قالت **أم حبيبة**: فلما وصل إِلَيَّ المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني، فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، وهذه خمسون مثقالاً[2] فخذيها فاستعيني بها، فأخرجت إِلَيَّ حقة فيها جميع ما أعطيتها، فردته إِلَيَّ، وقالت: عزم علي الملك أن لا أرزأك[3] شيئاً، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين رسول الله ﷺ وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر، فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد[4] كثير وَقَدِمْتُ بذلك كله على رسول الله ﷺ، وكان يراه عليَّ وعندي فلا ينكر؛ ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام وتعلميه أني قد اتبعته دينه، قالت: ثم لطفت بي وكانت هي التي جهزتني، وكانت كلما دخلت عليَّ تقول لا تنسي حاجتي إليك، قالت: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة، فتبسم رسول الله ﷺ وأقرأته منها السلام، فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته)[5].

---

(١) في البداية والنهاية: ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، (١٤٣/٤).

(٢) مثقالاً: المثقال درهم وثلاثة أسباع درهم. المعجم الوسيط (٩٨/١).

(٣) لا أرزأك: لا أنقصك. المصدر السابق (٣٤١/١).

(٤) زباد: مادة عطرة تتخذ من دابة كالسنور. المصدر السابق (٣٨٨/١).

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٢١/٤-٢٢).

٣- فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد منَّ الله بفضله على أم المؤمنين أم حبيبة بمناقب وفضائل لم تكن لغيرها حيث كانت من السابقين إلى الإسلام والمهاجرين من أجله، ونالها من المصائب والنوازل ما لو نزل بغيرها لتضعضع جانبه وانكسر جناحه، وثبطت همته وخارت عزيمته، بل وربما تزحزح عن عقيدته. ذلكم هو ارتداد زوجها ووالد ابنتها عن الإسلام في أرض الحبشة(١). ولكنه الإيمان الذي رسخ في قلب أم المؤمنين جعلها تثبت على دينها وتضحي بزوجها وتفوض أمرها لخالقها ويقينها به أنه لا يضيعها، وعلم رسول الله ﷺ بحالها وثباتها على دينها، فكافأها عليه الصلاة والسلام بأن أدخلها في البيت النبوي أماً للمؤمنين، وقد أشركها ﷺ كغيرها من مهاجري الحبشة في مغانم خيبر، ولم يقسم لأحد غيرهم معهم وقال في ذلك ﷺ: (لكم أنتم -أهل السفينة- هجرتان)(٢).

وحين دخولها البيت النبوي ضربت أروع الأمثلة في خدمتها بيتها وقيامها بواجب زوجها عليه الصلاة والسلام، حيث أورد ذلك ابن عساكر -رحمه الله- في تاريخه بقوله: لما قدمت **أم حبيبة** -رضي الله عنها-، أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأخذ بخطام بعيرها، فأنزلها المنزل الذي أمره النبي ﷺ، فإذا فيه كناسة، فقالت لمولاة لها: إن شئتِ كفيتني السقي وكنست، وإن شئتِ استقيتُ وكنستِ، قال: فكنست البيت، ثم بسطت فيه بساط شعر، ثم بسطت عليه شيئاً، ثم أذن رسول الله ﷺ بالدخول على أهله، فلما دخل عليها وجد ريح الطيب، وقال:

---

(١) الطبقات لابن سعد (٩٧/٨).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٨٧٦)، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة.

«إنهن قرشيات بطاحيات قرويات، لسن بأعرابيات ولا بدويات»[1].

ومن فضائلها أنها كانت رحمة على قومها وأقاربها وسبباً في دخولهم الإسلام، فقد ذكر المفسّرون والمؤرخون وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: في هذه الآية: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال: فكانت المودة التي جعل الله عز وجل بينهم تزويج النبي ﷺ **أم حبيبة بنت أبي سفيان** رضي الله عنهما، فصارت أم المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين.

قال القرطبي -رحمه الله- في التفسير: وهذا بأن يسلم الكافر، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة، وخالطهم المسلمون، كأبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام. وقيل: المودة تزويج النبي ﷺ **أم حبيبة بنت أبي سفيان**، فلانت عند ذلك عريكته، واسترخت شكيمته في العداوة[3].

وقد كانت -رضي الله عنها- مستجابة الدعوة، فلما حصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، أتته أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-، فجاء رجل فاطلع في خدرها، فجعل ينعتها للناس، فقالت: ماله قطع الله يده، وأبدى عورته، فدخل عليه داخل فضربه بالسيف فاتقى بيمينه فقطعها، وانطلق هارباً، آخذاً إزاره بفيه، أو بشماله بادياً عورته[4]، وقد استجاب الله سبحانه

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (تراجم النساء ص ٨٧).

(٢) سورة الممتحنة، آية رقم: (٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٨/١٨).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (تراجم النساء ص ٩١).

دعاء أم المؤمنين وتحققت فيه دعوتها.

ومن فضائلها رضي الله عنها، ضربها أروع الأمثلة في الولاء والبراء، وتقديم محبة الله ورسوله على كلّ أحد وذلك عندما أراد والدها الجلوس على فراش رسول الله ﷺ، فطوت عنه الفراش لأنه كان مشركاً[1]. إلى غير ذلك من التزامها الكامل بالسنة وتطبيقها لكل ما يقوله ﷺ[2].

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/٩٩-١٠٠) ونصه: "لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة، جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر. وانظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (١/٣٥٨).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم: (١٢٨٠) ص٢٦٩، باب: إحداد المرأة على غير زوجها ونصه: "عن زينب ابنة أبي سلمة قالت "لما نعي أبي سفيان من الشام دعت أم حبيبة -رضي الله عنها- بصفرة في اليوم الثالث فمسحت عارضيها وذراعيها وقالت: إني كنت عن هذا لغنية لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً". وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٤٨٦)، كتاب الطلاق، باب: وجوب الإحداد في عدة الوفاة...، وفي صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٢٨) ص٢٨٧، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن ونصه: "عن أم حبيبة -رضي الله عنها- قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد مسلم يصلي لله كلّ يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة، أو إلا بُنِيَ له بيت في الجنة، قالت: أم حبيبة فما برحت أصليهن بعد". قلت: والحديثان السابقان يدلان دلالة واضحة على تمسكها بالسنة -رضي الله عنها وأرضاها-.

هذا وقد قامت -رضي الله عنها- بحفظ الأمانة في نقل الميراث النبوي إلى المسلمين ليعلموه ويعملوا به، حيث اجتهدت -رضي الله عنها- في نقل السنة النبوية، فقد بلغ مسندها -رضي الله عنها- خمسة وستين حديثاً، اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، وتفرد مسلم بحديثين[1]، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

٤- وفاتها -رضي الله عنها-:

روى الحاكم وغيره عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "دعتني **أم حبيبة** زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله وتجاوزه، وحللتك من ذلك كله.

فقالت عائشة -رضي الله عنها- سررتني سرَّك الله، وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك[2].

قيل: توفيت سنة أربع وأربعين في خلافة أخيها معاوية -رضي الله عنه[3]، وقيل: سنة تسع وخمسين قبل موت معاوية -رضي الله عنه- بسنة[4]. وقيل: سنة اثنتين وأربعين[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٩).

(٢) المستدرك للحاكم (٤/٢٢-٢٣). وصفة الصفوة لابن الجوزي (١/٣٥٨). والطبقات لابن سعد (٨/١٠٠).

(٣) الطبقات لابن سعد (٨/١٠٠)، الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٨٤٥)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (١/٣٥٨).

(٤) الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص٢٤٩، والمستدرك للحاكم (٤/٢٠).

(٥) الإصابة لابن حجر (٧/٦٥٤).

الفصل الثاني

أثر مناهج الدعوة في دعوة أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

١- أثر المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها:

حققت **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- المنهج العقلي في الدعوة من خلال موقف إيماني حكَّمت فيه عقلها، ونظرت فيه ببصيرة المؤمنة الملهمة. فقدمت من خلال ذلك أعظم درس لأبيها الذي كان لا يزال على الشرك، وللأمة جميعاً في الطريقة الصحيحة للدعوة والتي تتطلب أحياناً العزيمة والقوة في اتخاذ القرار. ثم تابعت -رضي الله عنها- منهجها العقلي في الدعوة من خلال حوارٍ عقليٍّ مهمٍّ مدعمٍ بالحجة والبرهان على صحة ما بدر منها، واستدلت على ذلك بأدلة عقلية منطقية أقنعت بها خصمها وألزمته الحجة وأقامت عليه البرهان لقد استطاعت أم المؤمنين -رضي الله عنها- من خلال هذا الحوار أن تجعل والدها يعيد حساباته وينظر في واقع أمره. فقد جاء في الطبقات أنه «لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلَّمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنيه أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر»[١].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٩٩، ١٠٠).

هذا الموقف من أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- بنت زعيم قريش وسيد بطحاء مكة، يدخل عليها أبوها بعد طول عهد بفراقها، ويجيء ليجلس على فراش متواضع في بيتها فتطويه عنه، فيه من الدروس الدعوية خاصة ما يُعنى بالمنهج العقلي الشيء الكثير، فمن ذلك:

تحقيق أم المؤمنين -رضي الله عنها- لمعنى الولاء والبراء وأن الموالاة تكون في الله والمعاداة لا تكون إلا لله.

ومنها تعين القوة والعزيمة في اتخاذ القرار دون تردد، فقد طوت -رضي الله عنها- الفراش دون أبيها المشرك دون تلكؤ أو تمهل تحقيقاً وتنفيذاً لحب الله ورسوله ﷺ.

ومنها دعوتها لوالدها بهذا الأسلوب العقلي، فخاطبته بكل قوة وعزيمة بأن السبب في طي الفراش، هو الشرك والكفر الذي أنت فيه ويتعلق بذلك القذر والنجاسة العينية والمعنوية التي لا تؤهلك للجلوس على فراش رسول الله ﷺ الذي هو منبع الطهر والصفاء والنقاء ﷺ.

ومنها استثارة حفيظة والدها الذي هو سيد البطحاء وزعيم قريش حيث يطوي الفراش دونه، وهو من هو، فيتحرك بذلك شعوره ويتيقظ إحساسه بالذي أصابه، فيكون سبباً لمراجعته نفسه وإعادة حساباته نحو الدين الباطل الذي هو مقيم عليه.

ومنها أن في هذا الموقف من القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي والذي يساق من أجل العظة والعبرة، وهو عنصر مهم من عناصر المنهج العقلي في الدعوة، ففي هذا الموقف درس للأمة كلها في الدعوة إلى الله بتغليب الجانب العقلي في دعوة الداعي واستثارة كوامنه لدى المدعو ليتحقق الهدف من هذا المنهج في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ.

٢- أثر المنهج العقلي في التربية عند أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها:

أفادت **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- في إثراء المنهج العقلي في التربية من خلال درس تتربى الأمة من خلاله على أروع الأمثلة في الصدق مع الله وإصلاح علاقة المؤمن بربه ومع خلق الله، لقد استخدمت هذا الأسلوب مع رفيقات عمرها وأقرب الناس إليها، فهن أخواتها المنتظمات في عقد أمهات المؤمنين، فها هي ذي تطلب السماح منهن بأسلوب عقلي مقنع مؤثر، وتعلل ما كان قد صدر في فترة الحياة السابقة إلى الضعف البشري الذي لا يخلو منه أحد، لقد وضعت من خلال هذا الحوار الأسس العريضة في التربية لكل مؤمن ومؤمنة على اغتنام العمر في طلب مرضاة الله والاستعداد للقائه في كل لحظة من لحظات العمر. أورد ابن سعد -رحمه الله- عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنها قالت: (دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله، وتجاوزه، وحللتك مِنْ ذلك كله. فقالت: سررتني سرَّك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك)[1].

وعلى مثل هذا النوع من التربية التي تحتاجها الأمة يقول الأستاذ محمَّد قطب: «والرجوع إلى الله هو محور العقيدة الإسلامية كلها ومحور منهجها التربوي كله، ومنه تسير الحياة البشرية على نهجها القويم، فحين يرتد الناس إلى خالقهم، ويعلمون أنه وحده صاحب القوة والحول، وصاحب الجبروت

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٠).

والسلطان، فلا يتطلعون لأحد غيره، ولا يتعبدون لأحد سواه، ومن ثم تتحرر قلوبهم وأرواحهم، وينطلقون خفافاً إلى الله، فيهتدون بهديه ويسيرون على منهجه، ومن ثم تصلح نفوس بعضهم تجاه بعض. وتزداد بينهم أواصر الإنسانية والتعاون والمحبة، ويزول ما كان من نزاع أو شقاق، وهذا باختصار هو أحد الأسس التي يقوم عليها منهج التربية الإسلامية»[1].

(١) بتصرف من كتاب منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمَّد قطب (ص١٥-١٦).

٣- أثر المنهج العاطفي في الدعوة عند أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها:

ضربت **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- مثلاً أعلى يبرهن على صدق العاطفة في محبة الله ورسوله وتقديم حبهما على محبة النفس ورغباتها والحرص على الخير والسبق إليه، حتى وإن كان في سبيل ذلك ما كان من الغلبة على حظ النفس ومغالبة الهوى، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده، عن **أم حبيبة بنت أبي سفيان** -رضي الله عنها- أنها قالت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: أو تحبين ذلك؟ فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي...)[1] الحديث.

والحديث يدل على رغبة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- في الخير وحرصها عليه ومحبتها لأن تشاركها أختها فيه، مع أن هذا ليس من طبع النساء في شيء، فمحبة الضرائر من البعد بمكان حتى ولو كانت هذه الضرة من أقرب الناس إلى المرأة، ولهذا تعجب رسول الله ﷺ من هذا الطلب.

لهذا أشار الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث عند قوله ﷺ: "أو تحبين ذلك" قال: «هو استفهام تعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طبع عليه النساء من الغيرة....وفي معنى قولها -"لست لك بمخلية" أي لست بمنفردة بك ولا خالية من ضره.....وفي معنى قولها- "في خير" قيل المراد

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥١٠١) (ص١١٢٢) كتاب النكاح، باب: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

به صحبة رسول الله ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين»[1].

لله دَرُّكِ يا أم المؤمنين، كم سموت وتألقت في سماء الإيمان والعمل الصالح حتى تجاوزت طباعك الأنثوية، وفطرتك البشرية فرغبت في إدخال الخير على أختك ومشاركتها لك في زوجك رسول الله ﷺ.

وتؤكد أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- على المنهج العاطفي في الدعوة من خلال العبارات المؤثرة المستجلبة للانقياد من لدن السامع لتقدم له بعد ذلك النصح والتوجيه الذي تريد أن تصل إليه مستدلة على ما تقول بحديث ترويه عن رسول الله ﷺ، فقد روى أبو داود في سننه (أن أبا سفيان[2] بن سعيد بن المغيرة دخل على أم حبيبة فسقته قدحاً من سويق فدعا بماء فتمضمض، فقالت: يا ابن أختي، ألا توضأ؟ إن النبي ﷺ قال: "توضؤا مما غيرت النار" أو قال "مما مست النار". قال أبو داود: في حديث الزهري "يا ابن أخي")[3].

هذا وقد تناول العلماء من سلف هذه الأمة مسألة حكم الوضوء مما مست النار، وكان حديث **أم حبيبة** -رضي الله عنها- هذا وغيره من الأدلة للقائلين ببقاء حكم الوضوء مما مست النار.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٤٣/٩) بتصرف.

(٢) هو أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس الثقفي، المدني، مقبول من الثالثة. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤٢٩/٢).

(٣) سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم: (١٩٥) (٥٠/١) كتاب الطهارة، باب: في ترك الوضوء مما مست النار والتشديد في ذلك. والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٩٥) (٦١/١).

ومما أفاد به النووي -رحمه الله- في هذه المسألة قوله: «وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب: أحدها: لا يجب الوضوء بأكل شيء سواء ما مسته النار، ولحم الإبل وغير ذلك، وبه قال جمهور العلماء... وقالت طائفة: يجب مما مسته النار... وقالت طائفة: يجب من أكل لحم الجزور خاصة»[1].

وقد تناول -رحمه الله- هذه الأقوال واستعرض أدلة كل فريق ورجح القول بترك الوضوء مما مست النار، فقال -رحمه الله-: «وأما دعواهم نسخ أحاديث ترك الوضوء فهي دعوى بلا دليل فلا تقبل، وروى البيهقي عن الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي شيخ مسلم قال: اختلف في الأول والآخر من هذه الأحاديث، فلم يقف على الناسخ منها ببيان يحكم به، فأخذنا بإجماع الخلفاء الراشدين والأعلام من الصحابة -رضي الله عنهم- في الرخصة في ترك الوضوء مع أحاديث الرخصة[2]. والجواب عن أحاديثهم أنها منسوخة، هكذا أجاب الشافعي وأصحابه وغيرهم من العلماء، ومنهم من حمل الوضوء فيها على المضمضة وهو ضعيف»[3].

وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عند ما تعرض لمسألة الوضوء من اللحوم المحرمة فقال -رحمه الله-: «واختلف عن أحمد: هل يتوضأ

---

(١) المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت:٦٧٦) (٢/٧٠) بتصرف.

(٢) انظر: السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن البيهقي (ت:٤٥٨) (١/١٥٧) كتاب الطهارة، باب: ترك الوضوء مما مست النار.

(٣) المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٢/٧٣) بتصرف.

من سائر اللحوم المحرمة؟ على روايتين، بناء على أن الحكم مختص بها، أو أن المحرم أولى بالتوضؤ منه من المباح الذي فيه نوع مضرة. وسائر المصنفين من أصحاب الشافعي وغيره وافقوا أحمد على هذا الأصل، وعلموا أن من اعتقد أن هذا منسوخ بترك الوضوء مما مست النار فقد أبعد؛ لأنه فرق في الحديث بين اللحمين[1] ليتبين أن العلة هي الفارقة بينهما لا الجامع. وكذلك قالوا بما اقتضاه الحديث: من أنه يتوضأ منه نيئاً ومطبوخاً، ولأن هذا الحديث كان بعد النسخ؛ ولهذا قال في لحم الغنم: "وإن شئت فلا تتوضأ" ولأن النسخ لم يثبت إلا بالترك من لحم الغنم، فلا عموم له. وهذا معنى قول جابر -رضي الله عنه- كان آخر الأمرين منه: ترك الوضوء مما مست النار، فإنه رآه يتوضأ، ثم رآه أكل لحم غنم ولم يتوضأ»[2].

---

(١) أي لحم الإبل والغنم.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢١/١١-١٢).

٤- أثر المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها:

تبرهن **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- على أهمية المنهج العاطفي في التربية من خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ توضح من خلاله كيف كان ﷺ يشملها بالعاطفة والرحمة والمداراة، وهذا فيه ما فيه من الدروس التربوية لكل مؤمن ومؤمنة للسير على هذا المنهج النبوي العظيم، فقد كان ﷺ يلاطف أهله في جميع الأحوال، في هذا روى الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده (عن معاوية بن أبي سفيان، قال: قلت لأم حبيبة زوج النبي ﷺ: أكان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي ينام معك فيه؟ قالت: نعم، ما لم ير فيه أذى)[١].

وفي رواية لأبي داود (عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- أنه سأل أخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ: هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامعها فيه؟ فقالت: نعم، إذا لم ير فيه أذى)[٢].

وقيل في توضيح معنى قول أم المؤمنين -رضي الله عنها- (إذا لم ير فيه أذى): «أي مستقذر أو نجاسة، أي إذا لم ير في الثوب أثر المني أو المذي أو رطوبة فرج المرأة»[٣].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٧٢٩٦) (ص١٩٨٩) حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان، والحديث رجال إسناده كلهم ثقات. انظر: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١١٢/٣).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٦٦) (١٠٠/١) كتاب الطهارة، باب: الصلاة في الثوب الذي يصيب أهله فيه، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٣٣-٣٦٦) (١٠٩/١).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٢٧/٢) كتاب الطهارة، باب: الصلاة في الثوب الذي يصيب أهله فيه.

وفي التأكيد على عدم الأخذ بالظن في هذه المسألة، قال الشيخ البنا -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «ومن فوائد هذا الحديث أنه لا يجب العمل بمقتضى المظنة، لأن الثوب الذي يجامع فيه مظنة لوقوع النجاسة فيه، فأرشد الشارع إلى أن الواجب العمل بالمئنة دون المظنة، وفيه أن الاحتياط والأخذ باليقين جائز غير مستنكر في الشرع، وإن ترك المشكوك فيه إلى المتيقن المعلوم جائز؛ وليس من نوع الوسواس، وحديث عائشة عند مسلم وأبي داود وابن ماجة وغيرهما (قالت كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعليَّ مرط وعليه بعضه) يدل على عدم وجوب تجنب ثياب النساء وإنما هو مندوب فقط عملاً بالاحتياط كما يدل عليه حديث الباب -وهو حديث **أم حبيبة** -رضي الله عنها- وبهذا يجمع بين الأحاديث»[1].

هذا وقد نحى بعض أهل العلم إلى كراهة الصلاة في الثوب الذي يصيب الرجل فيه أهله؛ تحوطاً لما قد يكون فيه، وفي توضيح وجه الأخذ بالكراهة لمن قال بها في هذه المسألة، قال الإمام البغوي -رحمه الله-: «ومن كره، فلخوف أن يكون قد أصابه أذى من دم حيض أو غيره، كما كره بعضهم الصلاة في ثياب اليهود والنصارى. ولم ير الحسن بأساً بالثياب التي ينسجها المجوس»[2].

(١) بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (٣/١١٤) كتاب الصلاة، باب: في الصلاة في ثوب النوم وشُعر النساء وحكم ثوب الصغير، بتصرف.

(٢) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ) (٢/٤٣١) كتاب الصلاة، باب: الصلاة في لحف النساء.

الفصل الثالث

أساليب الدعوة في دعوة أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

١- أثر أسلوب الحكمة في دعوتها رضي الله عنها:

إن الذي يستعرض سيرة **أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان** -رضي الله عنها-، يجد أنها على جانب كبير من رجاحة العقل، وجزالة الرأي، والحكمة في تصريف الأمور، فإيمانها المبكر في مكة وهي بنت أبي سفيان رأس الكفر في وقته، دليل ساطع على فضل الله عليها بالاصطفاء وفي الوقت نفسه دليل على نور البصيرة وحكمتها -رضي الله عنها- في حسن اختيار طريق الرشاد والسعادة الأخروية.

وهجرتها إلى الحبشة مع زوجها فراراً بدينهما من الفتن، دليل على العقل والحكمة، وأعظم من هذا وذاك ثباتها على دينها وهي في الحبشة بعد أن ارتد زوجها عن الإسلام، وقد كانت في غربة وحاجة، دليل على إيمان بالله راسخ ويقين به صادق بأنه لن يضيعها وقد كان ذلك كذلك.

وموقفها مع والدها أبي سفيان حين دخل بيتها وأراد الجلوس على فراش رسول الله ﷺ وطيها الفراش دونه، وما دار بينه وبينها من حوار، يشير إلى مدى ما وهبها الله من العقل، لقد نبهت والدها لأمر جد خطير، ذلكم هو أن العز الحقيقي في طاعة الله ورسوله، والذلّ كل الذلّ في معصية الله ورسوله ﷺ.

ومما تميزت به أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-؛ حبها للعلم ورواية الحديث، فقد كانت من حافظات النساء، وواحدة من اللاتي شغلن

أنفسهن بالعلم، فراحت بعد عودتها من الحبشة تنهل من معين الآيات القرآنية وتحفظ من الأحاديث الشريفة لتعوض ما قد فاتها من ذلك زمان هجرتها، الأمر الذي جعلها إحدى المكثرات من الرواية، فلم يسبقها في الحفظ والرواية من أمهات المؤمنين إلا أمنا عائشة وأمنا أم سلمة -رضي الله عنهما-، ولعلَّ مردَّ هذا إلى أن **أم حبيبة** -رضي الله عنها- تُعَدُّ إحدى الفصيحات من نساء قريش، وممن عُرفن بالبلاغة وحسن الخطاب، كما كانت من ذوات الرأي والحصافة والحكمة، ولا غرو فهي ابنة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وهي من بنات عم رسول الله ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها[1]، بلغ مسندها خمسة وستين حديثاً. اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، وتفرد مسلم بحديثين[2].

(١، ٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٩/٢). وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٣٠٠/٤).

٢- أثر أسلوب الموعظة الحسنة في دعوتها رضي الله عنها:

وعظت **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال أحاديث نبوية روتها عن رسول الله ﷺ يتضح من خلالها حرصه ﷺ على الأمة ودلالتها على الخير، من ذلك وصيته ﷺ بألا تعلق الأجراس في رقاب الدواب، ويعلل ﷺ المنع حتى لا يُحرم الركب من فضيلة صحبة الملائكة لهم، والمقصود بهم هنا ملائكة الرحمة والاستغفار لا الحفظة[1] كما قال النووي -رحمه الله-، وفي ذلك روى أبو داود -رحمه الله- في سننه عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ (...أن رسول الله ﷺ قال: لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس)[2].

وفي رواية لمسلم (عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس)[3].

وفي رواية عنه -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (الجرس مزامير الشيطان)[4].

ومما قيل في سبب النهي وتخصيصه بالكلب والجرس قولهم: «اختلف في علة ذلك، فقيل إنه لما نهى عن اتخاذ الكلب عوقب متخذه بتجنب الملائكة

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٩٥).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٥٥٤) (٣/٢٥) كتاب الجهاد، باب: في تعليق الأجراس. والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٥٥٤) (٢/١١٢).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١١٣) (ص٨٧٦) كتاب اللباس والزينة، باب: كراهة الكلب والجرس في السفر.

(٤) المصدر السابق، حديث رقم: (٢١١٤) (ص٨٧٧).

عن صحبته فحرم من بركتهم واستغفارهم وإعانتهم على طاعة الله»[1].

«وأما الجرس فقيل سبب منافرة الملائكة له أنه شبيه بالنواقيس، وقيل سببه كراهة صوته وتؤيده رواية مزامير الشيطان، أو لأنه من المعاليق المنهي عنها، وقيل لأنه يدل على صاحبه بصوته وكان ﷺ يحب أن لا يعلم العدو حتى يأتيهم بغتة»[2].

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٧/٢٢٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٩٥).

٣- أثر أسلوب القدوة الحسنة في دعوتها رضي الله عنها:

يظهر للمتأمل في سيرة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- وضوح أثر أسلوب القدوة الحسنة في دعوتها، فمن ذلك سبقها إلى الإسلام، وصبرها وثباتها على دينها، فقد أسلم معها زوجها عبيد الله بن جحش في بادئ الأمر، لكن أبا سفيان بصلفه وقسوته ودهائه، لم يستطع أن يحجب نور الهداية عن قلب ابنته رملة، التي شرح الله صدرها للإيمان، وألقى في قلبها نور اليقين، فآمنت مع المبكرين، وسخرت من الأصنام والأوثان، وأسلمت قلبها وقالبها للواحد القهار.

ولما وثبت قريش على من أسلم منها، تكيل لهم ألوان العذاب؛ أشار المصطفى ﷺ على المؤمنين بالهجرة إلى الحبشة، وهاجر بعض المسلمين إلى أرض الحبشة، ولما كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة، هاجر عبيد الله بن جحش فيمن هاجر واصطحب معه زوجه رملة، وكانت حاملاً، حتى إذا استقروا في الحبشة، وضعت رملة ما في بطنها فكانت أنثى، فسمتها حبيبة فكنيت بها، وأصبحت مشهورة بكنيتها **أم حبيبة**(١).

إن في هجرة رملة -رضي الله عنها- إلى أرض الحبشة، دليل على أن حبها لله عز وجل ولرسوله ﷺ يفوق حبها أهلها وعشيرتها والأقربين، بل ويفوق مكانة والدها زعيم قريش، فلتفعل قريش ما تشاء، فالله سبحانه متم نوره

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء- لابن عساكر (ص٧٧)، تحقيق: سكينة الشهابي، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

ولو كره الكافرون، وكفى بهذا درساً عملياً في القدوة الحسنة للمؤمنين والمؤمنات في التضحية والبذل لدين الله عز وجل.

وموقف آخر في ثباتها -رضي الله عنها- على دينها حين ارتد زوجها عبيد الله بن جحش عن الإسلام، واعتنق النصرانية، وغلبت عليه الشقاوة، وحاول أن يرد **أم حبيبة** عن الإسلام، ولكن محاولاته أخذت تذروها الرياح، وأبت أن تجيبه إلى ما يريد، وصبرت صبر الكرام، ولم تقبل -رضي الله عنها- أن تبقى مع إنسان مشرك كافر، أو أن تجالسه، فكان لابد من الفراق والانفصال عن هذا الزوج الكافر الذي خان العهد الذي فارق عليه رسول الله ﷺ. وبقيت **أم حبيبة** -رضي الله تعالى عنها- على دين الإسلام وأبى الله عز وجل لأم **حبيبة** أن تتنصر، فأتم الله تعالى لها الإسلام والهجرة(١).

بلغ النبي ﷺ وهو بالمدينة أمر **أم حبيبة** -رضي الله عنها- وأنها تعيش وحدها معها طفلتها الصغيرة حبيبة، فرأى ﷺ أن يكرمها فعزم ﷺ أن يتزوجها، وأن يشرفها بأن تكون أماً للمؤمنين ومن نساء أهل البيت النبوي الطاهر.

لقد سطرت -رضي الله عنها- أعظم درس في القدوة الحسنة لكل صابر

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري (١٦٥/٣)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. روائع التراث العربي، بيروت - لبنان. وانظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٢٠/٤)، كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر **أم حبيبة** بنت أبي سفيان -رضي الله عنها-، ط. دار الفكر، وانظر: كتاب أزواج النبي ﷺ للإمام محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي (ت: ٩٤٢هـ) (ص١٦٢)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ط. دار ابن كثير، دمشق - سوريا.

ومحتسب لله عز وجل. وهذا الإنعام الرباني على **أم حبيبة** -رضي الله عنها- كان بسبب صبرها وتضحيتها وثباتها على دينها وتفويضها الأمر لخالقها ورازقها.

أما أبو سفيان والدها وزعيم الكفر في قريش، فقد دارت به الأرض لما بلغه هذا النبأ، إذ كان يتوقع خلافه، ظناً منه أن الظروف التي أحاطت **بأم حبيبة** -رضي الله عنها- ستجبرها على ترك دينها والعودة إلى مكة حيث الجاهلية والكفر كيما تعود له هيبته ومكانته التي سلبها والتي طالما كانت وصمة عارٍ على جبينه في عدم قدرته على صدِّ ابنته عن الإسلام، وربما حدثته نفسه الأمارة بالسوء بأنها ما هي إلا أيام حتى تعود **أم حبيبة** إلى داره باكية نادمة مستغفرة، وستكون عودتها طعنة نجلاء للدعوة المحمدية الجديدة. لكن الأيام مَرَّت، والسنين كرَّت، ولم يتحقق له من آماله وأحلامه شيء.

أمَّا الحقيقة المرة التي واجهها أبو سفيان في زواج رسول الله ﷺ من ابنته ودخولها البيت النبوي الطاهر لم تمنعه من أن يقول كلمة الحق التي فَرَّتْ من بين شفتيه لتبقى في سجل التاريخ وهي قوله: "ذلك الفحل لا يقرع أنفه"[١].

---

(١) نساء أهل البيت، لأحمد خليل جمعة (ص٣٧٦، ٣٧٧) بتصرف. وانظر: تفسير القرطبي (٥٨/١٨)، وأسباب النزول للواحدي (ص٣٤٩)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٤٣٩/١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٩٩/٨)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٢٢/٤). وفي كتب اللغة ورد بالدال يُقْدع، قال ابن الأثير في النهاية بعد أن ذكره بالدال: ويروى بالراء. ومعناه: لا يضرب أنفه، وذلك إذا كان كريماً، وأصله للفحل إذا كان غير كريم وأراد ركوب الناقة الكريمة، فيضربون أنفه بالرمح وغيره ليرتدع غيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٤/٤). والمعنى أن أبا سفيان يريد: أنه -ﷺ- كفء كريم لا يُرَدّ.

أما عن كيفية قدومها من الحبشة ودخولها البيت النبوي الطاهر، فقد كان ذلك درساً في القدوة الحسنة للمرأة المسلمة الصالحة المتحببة لزوجها والقائمة بشؤون بيتها بنفسها، وهذا لعمري مما يُعلي قدر المرأة ويسمو بمكانتها فقد ورد أنه لما قدمت **أم حبيبة** -رضي الله عنها- أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأخذ بخطام بعيرها، فأنزلها المنزل الذي أمره النبي ﷺ، فإذا فيه كناسة، فقالت لمولاة لها: إن شئتِ كفيتني السقي وكنستُ، وإن شئتِ استقيتُ وكنستِ، قال: فَكَنَسَتِ البيتَ، ثم بَسَطَتْ فيه بساط شَعْر، ثمّ بسطت عليه شيئاً، ثم أذن رسول الله ﷺ بالدخول على أهله، فلمَّا دخل عليها وَجَدَ ريح الطِّيْب، وقال: «إنهن قرشيات بطاحيات قرويات، لَسْنَ بأعرابيات ولا بدويات»[1].

وفي باب الولاء لله ورسوله -ﷺ- والبراءة من الشرك وأهله تسطر -رضي الله عنها- أعظم درس في القدوة الحسنة لكل مؤمن ومؤمنة للسير على هذا الطريق الذي قد يقل سالكوه لوعورة مسلكه، خاصة إذا كان في مواجهة المناوئين من ذوي القربى والأهل والعشيرة. لكن **أم حبيبة** -رضي الله عنها- طرحت المجاملة والتأويل جانباً وضربت بهما عرض الحائط رضا لله ورسوله -ﷺ-. إنها امرأة عظيمة كريمة طهرت بأرفع وأخلص الإخلاص في عقيدتها، وفي حبها لله عز وجل ولرسوله ﷺ. فهذا أبوها يدخل عليها بعد طول عهد بفراقها ويجيءُ ليجلسَ على فراشٍ في بيتها فتطويه عنه، فقد روت كتب الطبقات

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء- لابن عساكر (ص ٨٧)، تحقيق: سكينة الشهابي، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

والسير أنه لما قدم أبو سفيان المدينة ليشدَّ عقد هدنة صلح الحديبية ويستزيد في مدتها، دخل على ابنته أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-، فذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوتْهُ عنه، فقال لها: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أمْ رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس. قال: والله لقد أصابك بعدي شر[1]. قالت: هداني الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخولٌ في السلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر؟ قال: يا عجباه، وهذا منك أيضاً؟ أأترك ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد؟ ثم قام من عندها[2].

وفي ميدان العلم وطلبه كانت -رضي الله عنها- مضرب مثل وقدوة حسنة للمؤمنين والمؤمنات، فقد كانت -رضي الله عنها- من حافظات النساء وواحدة من اللاتي شغلن أنفسهن بحب كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، فبعد عودتها من الحبشة أخذت تنهل من معين الكتاب والسنة لتعوض ما قد فاتها في هذا الشأن مما جعلها إحدى المكثرات من الرواية، فلم يسبقها في الحفظ والرواية من أمهات المؤمنين إلا المكثرات أمثال أم المؤمنين عائشة وأم سلمة

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٩٩، ١٠٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٢٣)، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للطبري (ص١١٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/٢٨٠ و٨/٢٨). وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي (٢/١٦٧)، تحقيق: د. عبد السلام تدمري. الطبعة الأولى ١٩٨٥م، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

(٢) تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء- لابن عساكر (ص ٩١)، تحقيق: سكينة الشهابي، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

-رضي الله تعالى عنهن-. روى عنها كبار الصحابة والتابعين، وممن حدَّث عنها أخواها: الخليفة معاوية، وعنبسة، وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان، وابن أختها أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة، وعروة بن الزبير، ومولياها سالم بن شوال المكّي، وأبو الجراح القرشي وآخرون.

وحدث عنها من النساء الصحابيات: زينب بنت أبي سلمة المخزومية، وصفية بنت شيبة العبدرية، -رضي الله عنهم أجمعين-[١].

ومن المحاسن التي تميزت بها -رضي الله عنها- وبقيت منقبة لها وسنة حسنة وقدوة صالحة في التسامح والعفو عن كل مؤمن ومؤمنة خاصة في اللحظات الأخيرة عند مغادرة هذه الدنيا ما روته عنها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- (قالت: دعتني **أم حبيبة** زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله، وتجاوزه، وحللتك من ذلك كله، فقالت: سررتني سرك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك[٢].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٩). الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ -١٩٨٢م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/١٠٠)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٤/٢٢-٢٣)، وتاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء- لابن عساكر (ص٩٢)، وأزواج النبي ﷺ للصالحي (ص١٧٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٢٣). والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للطبري (ص١١٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٨/٢٨).

الفصل الرابع

وسائل الدعوة في دعوة أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

يقصد بالوسائل المعنوية: جميع ما يعين الداعية على دعوته من أمور قلبية أو فكرية، وذلك كالصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة مثل التواضع وحب الخير للناس والزهد فيما في أيدي الناس، والصبر والإخلاص وغير ذلك، ويقصد بالوسائل الحسية: جميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة على دعوته[1].

١- أثر الوسائل المعنوية في دعوتها رضي الله عنها:

مما ورد في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- ويدل على ما وهبها الله من كريم الأخلاق وجميل الصفات ما يلي:

١- من كريم أخلاقها وحميد صفاتها، إكرامها للجارية الحبشية التي بشرتها برغبة رسول الله ﷺ بالزواج منها، فأعطتها -رضي الله عنها- ما قدرت عليه مكافأة لها على هذه البشرى، وأبلغت سلامها لرسول الله ﷺ فتبسم ﷺ وردَّ عليها السلام[2].

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص٢٨٣)، وانظر: وسائل الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، (ص٢٩، ٤٦)، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٩٨/٨)، والسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (٧٥٩/٢)، ونصه: (قالت أم حبيبة: لما وصل المال وهو مهري من النجاشي، أرسلت إلى الجارية أبرهة التي بشرتني، فأتت، فقلت لها: يا أبرهة، إني كنت قد أعطيتك ما أعطيتك بالأمس، ولا مال بيدي، فهذه الخمسون مثقالاً، فخذيها فاستعيني واستغني بها، ولكن الجارية أبت ذلك، =

٢- من كرم أخلاقها تعليمها الأمة لدعوات صالحة عَلَّمها إياها رسـول الله ﷺ لتنفع بها المسلمين[١].

٣- من جميل صفاتهـا نقلهـا البشـرى لأمـة نبينـا محمـد ﷺ بأنـه قـد ادخـر لهـا الشفاعة يوم القيامة[٢].

٤- عظيم أدبها مع أمـير المؤمنـين عمـر بـن الخطـاب -رضـي الله عنهـا- بغسـلها الطيب عن أخيها معاوية -رضي الله عنه- وهو محرم لَمَّا أمره عمر بن الخطاب

=

وأخرجت حُقّاً فيه كل ما كنت أعطيتها، فردته عَليَّ وقالت: عـزم عَلـيَّ الملك ألا أرزأك شـيئاً، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله عزَّ وجلَّ -ثم قالت- يا أم حبيبة إن حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام، وتعلميه أني قد اتبعـت دينه...، فلما قدمت -أم حبيبة على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلـت بـي أبرهة، فتبسم رسول الله ﷺ، وأقرأته منها السلام، فقال ﷺ: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته).

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٣٨١/٢) كتـاب التفسـير، بـاب: تفسـير سورة طه، ونصـه: (عـن عبـد الله بـن مسـعود -رضـي الله عنـه- قـال: قـالت أم حبيبـة بنـت أبي سفيان: اللهم متعني بزوجي رسـول الله ﷺ وبـأبي أبـي سـفيان وبـأخي معاويـة، فقـال لها رسول الله ﷺ: "إنك دعوت الله لآجال معلومة وأرزاق مقسومة وآثار مبلوغة لا يعجـل شـيء منها قبل حِلِّه ولا يؤخر شيء منها بعد حِلِّه، فلو دعوت الله أن يعافيك أو سألت الله أن يعيذك أو يعافيك من عذاب النار أو عذاب القبر لكان خيراً أو لكان أفضل"). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٢) انظر: المصدر السابق (٦٨/١) كتاب الإيمان، ونصه: (عن أنس بن مالك عن أم حبيبة عـن النبي ﷺ أنه قال: أُريت ما يلقى أمتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليـني يـوم القيامـة شـفاعةً فيهـم ففعـل). صححه الحـاكم وسـكت عنه الذهبي.

-رضي الله عنه- بذلك مع أن لكلٍ دليله من السنة[1].

ومن دلائل حسن التفكير في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- من حسن تفكيرها وتوفيق الله لها دخولها في الإسلام مبكراً، فلم تبال بسخط والدها ولا أهلها، وهجرتها إلى الحبشة مع زوجها فراراً بدينها، ثم ثباتها على دينها في أرض الحبشة حتى بعد ارتداد زوجها عن الإسلام[2].

---

(١) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (٧٢٧) (ص١٧٠) كتاب الحج، باب: ما جاء في الطيب في الحج. ونصه: (عن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، أن عمر بن الخطاب وجد ريح طيب وهو بالشجرة فقال: ممن ريح هذا الطيب؟ فقال معاوية بن أبي سفيان: مني يا أمير المؤمنين، فقال: منك لعَمْر الله، فقال معاوية: إن أم حبيبة طيبتني يا أمير المؤمنين. فقال عمر: عزمت عليك لترجعن فلتغسلنه). وفي رواية عبد الرزاق: أقسمت عليك لترجعن إلى أم حبيبة فلتغسلنه عنك كما طيبتك، وزاد في رواية أيوب عن نافع عن أسلم، قال: فرجع معاوية إليها حتى لحقهم ببعض الطريق. قال الزرقاني في شرح الموطأ: «قال الأئمة الثلاثة باستحباب الطيب عند إرادة الإحرام وجواز استدامته بعده ولا يضر بقاء لونه ورائحته وإنما يحرم ابتداؤه في الإحرام، وقال مالك والزهري وجماعة من الصحابة والتابعين يحرم التطيب عند الإحرام بطيب يبقى له رائحة بعده.» انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٢٣٥-٢٣٧).

قلت: ولعل قول الجمهور هو الأصح في هذه المسألة، خاصة أن معهم نص صحيح من رسول الله ﷺ بوضعه الطيب قبل التلبس بالإحرام، وكل ما خالف ذلك مبني على الاجتهاد والاستنباط والتأويل والحيطة والحذر، وهذا كله لا يقوى على معارضة النص الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ. والله أعلم.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٩٦). ونصه: (تزوجها عبيد الله بن جحش بن رباب، وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها).

٢- من حسن تفكيرها رغبتها في أن تُدخل أختها معها في الخير لتكون تحت مسمى أمهات المؤمنين، فتحظى بشرف الدنيا والآخرة(١).

٣- من دلائل حسن التفكير استعمالها للطيب حين توفي والدها لتوضيح هديه ﷺ بأنه لا تحد المرأة على ميت أكثر من ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً(٢).

٤- استسماحها من نساء النبي ﷺ عند موتها حتى تلقى الله بدون أن تكون لأحد تبعة عليها(٣).

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥١٠١) (ص١١٢٢) كتاب النكاح، باب: ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم**...﴾. ونصه: (عن عروة بن الزبير: أن زينب ابنة أبي سلمة أخبرته: أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها: أنها قالت: يا رسول الله، أنكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: "أو تحبين ذلك"؟ فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: "إن ذلك لا يحل لي". قلت: فإنا نُحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة؟ قال: "بنت أم سلمة" قلت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلَّت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن عَليَّ بناتكن ولا أخواتكن).

(٢) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٥٣٣٤) (ص١١٧١) كتاب الطلاق، باب: تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا. ونصه: (قالت زينب بنت أبي سلمة: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت أم حبيبة بطيبٍ فيه صُفْرةٌ خَلُوقٌ أو غيره، فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً).

(٣) انظر: المستدرك للحاكم النيسابوري (٢٢/٤) كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان -رضي الله عنها-، ونصه: (عن عوف بن الحارث قال سمعت عائشة -رضي الله عنها- تقول: دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله ذلك كله وتجاوز وحللتك من ذلك كله، فقالت عائشة: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك، وتوفيت سنة أربع وأربعين في إمارة معاوية -رضي الله تعالى عنهما-).

٢- **أثر الوسائل الحسية في دعوتها** رضي الله عنها:

يقصد بالوسائل الحسية: جميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة على دعوته[١].

عند ما دخلت **أم حبيبة** -رضي الله عنها- البيت النبوي أمّاً للمؤمنين، لم تدخر وسعاً في بذل طاقتها وإمكاناتها في إرضاء زوجها رسول الله ﷺ وإدخال السرور عليه، وهذا من أعظم الدروس الدعوية للمرأة المسلمة الصالحة المتحببة لزوجها بأن تقوم بخدمة بيتها بنفسها، وهذا مما يعلي قدر المرأة ويسمو بمكانتها عند زوجها، فقد جاء أنه لما قدمت **أم حبيبة** -رضي الله عنها- أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأخذ بخطام بعيرها، فأنزلها المنزل الذي أمره النبي ﷺ، فإذا فيه كناسة، فقالت لمولاة لها: إن شئت كفيتني السقي وكنستُ، وإن شئتِ استقيتُ وكنستِ. قالت: فكنستُ البيت، ثم بسطتُ فيه بساط شَعْر، ثم بسطت عليه شيئاً، ثم أَذِنَ رسول الله ﷺ بالدخول على أهله[٢].

وفي ميدان التضحية والفداء تسطر أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- نماذج رائعة في ذلك، فهاهي تغامر بالدخول عند الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وقت محاصرته من لدن رؤوس الفتنة والشقاق، لتزوره

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص٢٨٣)، وانظر: وسائل الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، (ص٢٩، ٤٦)، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء- لابن عساكر (ص٨٧)، تحقيق: سكينة الشهابي، ط. دار الفكر، دمشق – سوريا.

وتخفف عنه وتهون عليه، وفي أثناء تلك الزيارة جاء رجل فاطلع في خدرها، فجعل ينعتها للناس، فقالت: ما له قطع الله يده، وأبدي عورته، فدخل عليه داخل فضربه بالسيف فاتقى بيمينه فقطعها، وانطلق هارباً، آخذاً إزاره بفيه، أو بشماله بادياً عورته[1].

(١) انظر: المصدر السابق، (ص٩١).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وخاتم رسله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فتلك كانت سيرة وجهـود الدعـوة للسـيدة الفاضلـة أم المؤمنـين **أم حبيبـة** -رضي الله عنها-، لقد من الله عليها بـأن كـانت مـن السـابقين إلى الإسـلام، وفي طليعة المهاجرين من أجل الدين، وزادت شرفاً وفخاراً بدخولها في بيـت النبـوة وأضحت من أمهات المؤمنين اللائي أذهب الله عنهن الرجس وطهرن تطهيراً.

لقد كانت أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- من عقلاء النساء، ومـن ذوات التقى والزهد والصفاء، وممن عرفـن بـالكرم والجـود، وتـوج ذلـك حبهـا للعلم الشرعي وشوقها في التزود منه، ومع تأخر دخولها للبيـت النبـوي إلا أنهـا أدركت من الخير والعلم منه ﷺ كما أدركه من سبقها من أمهات المؤمنين.

(حدث عنها، أخواها: الخليفة معاوية، وعنبسة، وابن أخيهـا عبـد الله بـن عتبة بن أبي سفيان، وعروة بن الزبير، وأبو صالح السَّمان، وصفيـة بنـت شـيبة، وزينب بنت أبي سلمة، وشتير بن شكَل، وأبو المليح عامر الهذلي، وآخرون)[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٩).

جدير بنساء عصرنا أن يهتدين بأمثال هذه المرأة الصالحة، فإن في ذلك الخير والسعادة لهن في الدنيا والآخرة.

هذا وقد جاء البحث في أربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول كان بعنوان: التعريف بأم المؤمنين **أم حبيبة** وبيان فضلها -رضي الله عنها-، تحدثت من خلاله عن اسمها ونسبها وزواجها، ثم تحدثت عن فضائلها بما فتح الله، ثم وفاتها.

الفصل الثاني كان بعنوان: أثر مناهج الدعوة في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-، تحدثت من خلاله عن أثر المنهج العقلي في الدعوة والتربية عند أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-، وعن أثر المنهج العاطفي في الدعوة والتربية عند أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-.

الفصل الثالث كان بعنوان: أساليب الدعوة في دعوة أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها-، تحدثت من خلاله عن أثر أسلوب الحكمة في دعوتها، وعن أثر أسلوب الموعظة الحسنة في دعوتها، وعن أثر أسلوب القدوة الحسنة في دعوتها -رضي الله عنها-.

الفصل الرابع كان بعنوان: وسائل الدعوة في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-، تحدثت من خلاله عن أثر الوسائل المعنوية والوسائل الحسية في دعوتها -رضي الله عنها-.

ثم كانت الخاتمة وذكر المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث.

والله تعالى أسأل التوفيق والإخلاص والقبول، إنه سميعٌ مجيبٌ، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر، (مخطوط)، قسم المخطوطات في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة، رقم الفلم (٣٤٠). عدد الأوراق: ٥٤ ورقة.

٢- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن عساكر، تحقيق: محمد إبراهيم دسوقي.

٣- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن عساكر، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر.

٤- أزواج النبي ﷺ، لمحمد بن يوسف الصالحي، (مخطوط) مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، فلم رقم: (٣٧٦٢)، عدد الأوراق: (٢٥) ورقة.

٥- أزواج النبي ﷺ، لمحمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

٦- أزواج النبي ﷺ، د. موسى شاهين لاشين، الطبعة الأولى: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٧- أزواج النبي ﷺ وأولاده، أمير مهنا الخيامي، الطبعة الأولى: (١٤١١هـ-١٩٩٠م) ط. مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت - لبنان.

٨- أسباب النزول، لأبي الحسن الواحدي النيسابوري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٩- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ط. مطبعة النهضة مصر - القاهرة.

١٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١١- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، الطبعة الأولى: (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ط. دار عمار، عمان - الأردن.
١٢- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. دار نهضة مصر، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
١٣- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي، الطبعة الثانية: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) دار الفكر، دمشق، سوريا.
١٤- *أصول الدعوة*، د. عبد الكريم زيدان، *الطبعة الثالثة:* (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
١٥- الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة: ١٩٨٠م، ط. دار العلم للملايين، بيروت.
١٦- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحاله، الطبعة الخامسة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
١٧- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. دار الوفاء، المنصورة - مصر.
١٨- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١٩- تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، ط. روائع التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢٠- تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء-: لابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.
٢١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح: عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثالثة: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٢- تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده، لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
٢٣- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط. دار إحياء الكتب العربية.
٢٤- تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية: (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٢٥- تقنين الدعوة، د. محمد السيد الوكيل، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ط. دار المجتمع، جدة - المملكة العربية السعودية.
٢٦- تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط. مكتبة الآداب، مصر.
٢٧- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٢٨- تهذيب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد - الهند.
٢٩- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، ط. الدار المصرية للتأليف.
٣٠- الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٣١- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الرابعة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣٢- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط. دار الشام للتراث، بيروت - لبنان.
٣٣- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محيي الدين مستو، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، ط. دار ابن كثير - سوريا.

٣٤- جمل فتوح الإسلام، لابن حزم، الرسالة الرابعة المطبوعة مع كتاب (جوامع السيرة)، ط. دار المعارف، مصر.
٣٥- جوامع السيرة، لابن حزم، ط. دار المعارف، مصر.
٣٦- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، للسيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق: د. مصطفى سعيد الخن، ومحيي الدين مستو، الطبعة الثامنة: (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٣٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣٨- الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير يوسف، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ، ط. دار طويق للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية.
٣٩- دعوة الرسل، د. محمد العدوي، ط. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٤٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، وهو شرح كتاب رياض الصالحين، للشيخ محمد بن وعلان الصديق الشافعي، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
٤١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٤٢- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للإمام عبد الرحمن السهلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل.
٤٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثامنة: (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٤٤- زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، للشيخ محمد محمود الصواف، الطبعة الثانية: ١٣٨٣هـ، ط. مطبعة الحرية، عمان - الأردن.
٤٥- الزواج الإسلامي سعادة وحصانة، للشيخ محمد علي الصابوني، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

٤٦- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للعلامة الصنعاني، ١٣٥٧هـ، ط. مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر.
٤٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
٤٨- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، للإمام الطبري، تحقيق: محمد علي قطب، ط. دار الحديث، القاهرة، مصر.
٤٩- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
٥٠- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٥١- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى: ١٣٥٥هـ، ط. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن - الهند.
٥٢- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٥٣- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية: (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٥٤- سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الفكر.
٥٥- شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
٥٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان.

٥٧- صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
٥٨- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
٥٩- صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
٦٠- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، طبعة عام (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.
٦١- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٦٢- صفة الصفوة، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، ط. دار الصفا، القاهرة - مصر.
٦٣- الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
٦٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
٦٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
٦٦- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٦٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. دار الفكر.

٦٨- الفصول في سيرة الرسول ﷺ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، الطبعة السابعة: ١٤١٦هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
٦٩- فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ، ط. دار الوفاء، مصر.
٧٠- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ط. دار الدعوة، مصر.
٧١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثانية: (١٣٩١هـ-١٩٧٢م)، ط. دار الفكر.
٧٢- الكامل في التاريخ، لأبي الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الطبعة السادسة: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
٧٣- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري، ط. دار صادر، بيروت - لبنان.
٧٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي، ط. مؤسسة المعارف، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
٧٥- المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: د. محمود مطرجي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
٧٦- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، الطبعة الثانية: (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٧٧- المستدرك على الصحيحين في الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، طبعة عام (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
٧٨- مسند أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين أسد، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م، ط. دار المأمون للتراث، دمشق - سوريا.

٧٩- مسند الإمام أحمد الحافظ أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٨٠- معالم التنزيل، للإمام أبي محمد بن الحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الأولى: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٨١- معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، د. خليفة حسين العسال، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٨٢- معالم السنن شرح سنن أبي داود، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، الطبعة الأولى (١٤١١هـ-١٩٩١م)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨٣- معجم البلدان، لياقوت الحموي: ط. دار صادر، بيروت - لبنان.

٨٤- المعجم الوسيط، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٨٥- المغني، للإمام العلامة موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨٦- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٨٧- منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٨٨- مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ، ط. دار الوفاء، مصر.

٨٩- الموسوعة الحديثية في تحقيق مسند الإمام أحمد، مشاركة مجموعة من العلماء، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٩٠- نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث، لأحمد خليل جمعة، الطبعة الثانية: (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ط. اليمامة، دمشق، بيروت.

٩١- نساء حول الرسول ﷺ، لمحمود الإستانبولي ومصطفى أبو النصر شلبي، الطبعة السادسة: (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ط. مكتبة السوداي، جدة - المملكة العربية السعودية.

٩٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٩٣- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٩٤- وسائل الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، الطبعة الثالثة: ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات